

الحلقة السادسة والسبعون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تناولت مواضيع عديدة. فتكلمنا عن أهمية التحلي بصفة العطف والحنان نحو الفقراء. وأن تسلط الأشرار يؤدي إلى خراب المجتمع، بينما يبعد الحكماء عنه المآسي. وأنه لا بد أن تكون هناك رؤيا تستند على كلمة الله لكي يهتدي الإنسان ويصبح حكيماً.

هل تجتهد في عملك يا صديقي؟ وهل تعلم ما هي نتائج الإجهاد؟ وفي المقابل هل تدرك ما هي عواقب الكسل؟ يقول المثل العربي: من جدّ وجد، ومن سار على الدرب وصل. وكما يقول أيضاً الشاعر العربي: ومن طلب العلى بغير جدٍ : أضاع العمر في طلب المحال. ومن طلب العلى سهر الليالي. وفي هذا المجال كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "المشتغل بأرضه يشبع خبزاً وتابع البطالين يشبع فقراً". (أمثال ٢٨: ١٩) وفي ترجمة أخرى لنفس المثل جاء ما يلي: "من يفلح أرضه يكثر طعامه، أما من يتبع أوهاماً باطلة فيشتد فقره". (الترجمة التفسيرية)

إن الإجهاد والعمل الدؤوب هما من سنة الحياة لكي ينجح الإنسان في حياته، ويحصل معيشته. فالطالب عليه أن يجتهد ويدرس لكي ينجح. وكذا العامل والموظف والتاجر والطبيب والمهندس وغيرهم. ولهذا قال الله منذ القديم للإنسان وبعد سقوطه في العصيان: "بعرق وجهك تأكل خبزاً". (تكوين ٣: ١٩) أما إذا تقاعس المرء وفضل الراحة والكسل، فإنه لن يجد أمامه سوى الفاقة والفقر، وعاش طيلة عمره مُعدماً محتاجاً. فهل تجتهد في دراستك أو عملك مستمعي؟ وهل تعلم أن النجاح يعتمد عليك وحدك وبمقدار ما تبذل من جهد ونشاط وتبتعد عن الكسل؟

هل تدري مستمعي أن الذي يُظهر غضبه بسرعة يعتبر شخصاً جاهلاً؟ بينما الذي يتحكم بغضبه يعتبر شخصاً حكيماً؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "الجاهل يفجر غضبه، أما الحكيم فيكبحه بهدوء". (أمثال ٢٩: ١١ تفسيرية) هناك أمور كثيرة في

الحياة اليومية قد تثير غضب الإنسان. ومن الملاحظ أن الجاهل يسرع في تفجير غضبه، بينما نرى أن الحكيم يستطيع أن يسيطر على نفسه، ويكبح جماح غضبه. إن السيطرة على الغضب هو من نتائج الحكمة، بينما الإسراع به هو نتيجة طبيعية للجهل. من الجهل إذن أن يسرع الإنسان ويفجر غضبه. ولهذا على كل منا أن يراقب نفسه. فإذا وجد نفسه يسرع نحو الكشف عن غضبه، فهذا يعني أنه بحاجة إلى الحكمة لكي يسيطر على نفسه. وكلنا نعلم أثر الغضب السلبي على حياتنا وعلى حياة الآخرين من حولنا.

ولقد عبّر سليمان الحكيم عن هذا الأمر بالذات عندما كتب هذا المثل قائلاً: **"الرجل الغضوب يهيج الخصام، والرجل السخوط كثير المعاصي."** (أمثال ٢٩:٢٢) يظن الذي يغضب أن غضبه سيحل الأزمة، غير عالم أنه بغضبه السريع سيثير الخصام من جديد، ويزيد الأمور تعقيداً. وهذا ما نراه بكل وضوح في الحياة العملية. فعندما نرى شخصاً غضوباً، أي يسرع في غضبه، نجده دائماً يثير المزيد من الخلافات بدل حلّها. فإظهار الغضب ليس هو الوسيلة لحل المشاكل، بينما التحلّي بالهدوء هو الذي يساعد على حلّها. أما الرجل السخوط فهو الذي يسخط ويتدمر على كل شيء. وهذا النوع من الناس كما قال الحكيم سرعان ما يسقط في الكثير من المعاصي، والسبب لأنه بسخطه وتدمره يسمح للشّر أن يقوده إلى ما لا تريده نفسه. فهل تراك تتجنب مستمعي السخط والتدمر؟

هل تعلم مستمعي أن الشخص الذي يقوم بجريمة ما لم يعرف بها أحد، يظل معذب الضمير طيلة عمره؟ إن الشعور بالذنب يظل يطاردّه ومهما حاول الهروب منه؟ وهو ما عبّر عنه سليمان الحكيم بهذا المثل فقال: **"من هو مثقل بارتكاب سفك دم، يظل طريداً حتى وفاته، ولا يعينه أحد."** (أمثال ٢٨:١٧ تفسيرية) إن عذاب الضمير مؤلم وقاسٍ جداً، ويحيل حياة الإنسان إلى جحيم لا يُطاق. ولا توجد وسيلة للتخلّص من هذا العذاب، إلا بأن يعترف الإنسان بذنبه للآخرين، أو أمام محاكم القضاء. ولعلّ أفضل وسيلة هي أن يأتي تائباً لله تعالى ويعترف بذنوبه، وعندها يغفرها الله له.

هل أنت مثقل الضمير مستمعي بسبب أي ذنب قمت به؟ إن الله مستعد أن يسامحك، ويريح ضميرك، إذا أتيت إليه تائباً ومعتزلاً بما قمت به. لقد أرسل الله المخلص المسيح لكي يموت على الصليب عوضاً عنك، أي أخذ عقاب خطاياك بدلاً عنك. ولهذا صرّح المخلص المسيح قائلاً: **"تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احمّلوا نيري عليكم وتعلموا مني. لأنني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحمل خفيف."** (بشارة متى ١١:٢٨-٣٠)

إن المخلص المسيح هو الوحيد الذي دعا ويدعو جميع مثقلي الضمير، وحاملي الأتعاب، بسبب الذنوب لكي يأتوا إليه. وهو الوحيد الذي وعدهم بالراحة، إذ يهبهم الغفران الكامل. فهل تراك ترغب مستمعي في الحصول على هذه الراحة الحقّة؟

مستمعي الكريم، إن الإنسان عندما يأتي إلى الله معترفاً بذنوبه وتائباً عنها، ويؤمن بموت المسيح الكفاري عنه، يغفر الله ذنوبه كلها. وعندها يشعر براحة الضمير الكاملة، ويتأكد أن الله قد قبل توبته. وليس هذا فحسب بل يجعله الله إنساناً جديداً يسلك في طريق الصلاح والخير. فإذا كنت معذب الضمير مستمعي، وتود الخلاص من هذا العذاب وأن تحصل على الراحة، لم لا تأتي إلى المخلص المسيح مصدر الراحة والسلام الحقيقيين. أو ليس هو الذي وعد قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"؟